

اليوم رقم 7

بسم الله الرحمن الرحيم

سنتناول مجموعة من السور عددها خمس، هي: السجدة، المؤمنون، المعارج، الفرقان، والزمر. وسنلاحظ أن أهم ملامح هذه المجموعة أنها تبدأ بفرض تشريعات جديدة، وهذا يعني أن هناك جالية إسلامية تكونت، في مكة، وفي يثرب، لأن التشريعات لا تفرض إلا بعد وجود مجتمع مؤمن.

ويعني أيضاً أن عدداً من المستضعفين في مكة قد آمنوا بعد أن بدأ القرآن يخاطبهم ويحذرهم من نار جهنم التي سيدخلونها لو استمروا في تقليد أسيادهم في الكفر. وقد يكون هناك عدد من أهل يثرب أسلموا كذلك بواسطة أوائل من أسلم من بني إسرائيل وعادوا هناك ونشروا الدعوة، وهم من تسبب في إيمان غالبية الأوس والخزرج.

وسور اليوم ستظهر أن قريش صعدت من أذاها النفسي على المسلمين، وخاصة من أسلم من مستضعفيها، لأنهم عصب الحياة في مكة - كما سبق وذكر - ولن تسمح قريش لهم بالتخلي عن القيام بالأعمال الخدمية التي يقومون بها لكبراء قريش. ولما أصبحت الحياة لا تطاق بالنسبة لمن أسلم من المستضعفين حثتهم سورة الزمر على الهجرة (إلى الحبشة).

((ولا حاجة للفت انتباه القراء أنه بعد توجه الخطاب لكل الناس، نجد السورة الواحدة تخاطب قريش عن أمم سابقة، ثم تخاطب بني إسرائيل عن أمم سابقة تهمهم وتهم تاريخهم، وهذا سيتكرر كثيراً))

والبداية مع سورة السجدة

وافتناحتها بتشابه مع افتتاحية عدد من السور السابقة، بالتأكيد على أن القرآن تنزيل من الله: الم {1} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ {2}.

ثم ترد الآيات على جدال قريش واتهاماتهم لمحمد، وتدعوا قريشاً للتفكير في الخلق للاستدلال على قدرة الخالق على البعث: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ {3}.

والآية تقول: أن قريش لم يسبق أن أرسل لها رسول قبل محمد.

(الآية:4 ستة أيام تعني عصور جيولوجية: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {4} .

الآية:5 ألف سنة تصوير حسي لطول ذاك اليوم، لتقريبه في الذهن، وليس بالضرورة أن يكون ألف سنة: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ {5} .

(الآيات:6-9) تتحدث عن خلق الله للإنسان الأول. أي الأجيال الأولى للسلاسل البشرية، ومن ثم تتحدث عن خلق الجنين: ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {6} الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ {7} ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ {8} ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ {9} .

بداية خلق الإنسان الأول كان من طين، كما شرحت الآيات:12-14 من سورة المؤمنون. ثم أصبح التناسل يتم عبر التزاوج والتقاء الماء المهيين (المني) بالبويضة.

ثم تجيب السورة على تساؤل متكرر من قريش عن البعث: وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ {10} قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ {11} .

(الآية:10) دليل على أن الألفاظ تعرف معانيها من السياق، وهنا نجد أن "ضللنا" تعني تحللنا (تحللت أجسادهم)، وليس من الضياع.

الآية:11 ملك الموت هنا لا يعني مخلوق حي من الملائكة مكلف بنزع أرواح الناس، بل يعني آلية يتم بموجبها خروج الروح من الجسد. وتسميتها ملك الموت هنا تصوير حسي لتقريبها من ذهن المخاطب.

الآية:12 تصوير حسي لما سيكون عليه حال كفار قريش يوم القيامة: وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ {12} .

(الآية:13): وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {13} .

لا تعني أن الله قد كتب مسبقاً على بعض قريش أنهم من أهل النار، لكي يملأ جهنم، بل هو تعبير مجازي. وإلا فالدين خيار شخصي.

ثم تتوعد السورة كفار قريش: فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {14}.

الآيات: 15-17 وعد للمؤمنين القلة في مكة: إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ {15} تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {16} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {17}.

وتصف الآيات وَجَلَّهُمْ من عذاب النار، بأن جنوبهم تتجافى عن المضاجع، أي لا يرتاحون في نومهم من القلق.

الآيات: 18-22 لا يستوي المؤمن والكافر = الله لن يغفر لمستحق النار ولن يدخل النار من يستحق الجنة: أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ {18} أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {19} وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ {20} وَلَنَذِقَنَّاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {21} وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ {22}.

الآيات: 23-25 المعني بالخطاب هنا هم بنو إسرائيل والحديث عن كتاب موسى، ومديح لبعض بني إسرائيل، وسيفصل الله بين مؤمنهم وعاصيهم يوم القيامة: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ {23} وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ {24} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {25}.

آخر آيات السورة: تقول أن قريش تعرف مساكن أمم سابقة أهلكت بكفرها. وتدعوا الآيات قريش للتفكير بخلق الله: أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ {26} أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ {27} وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفُتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {28} قُلْ يَوْمَ الْفُتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ {29} فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ {30}.

وتجيب الآيات على تساؤل قريش الذي تردده على محمد دائماً عن موعد البعث، بأن البعث إذا جاء فلن ينفع قريش إيمانهم، وتطلب من محمد أن يصبر وينتظر مواعدهم يوم القيامة.

سورة المؤمنون

السورة تبدأ بمنحى مختلف عن السور السابقة التي كانت تؤكد على صحة القرآن وتخطب مشركي قريش، أما هذه السورة فتبدأ بمخاطبة المؤمنين القلة في مكة وغير مكة، كالذين آمنوا من بني إسرائيل يشرب ومن تبعهم من غيرهم: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {1} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {2} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {3} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {4} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {5} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {6} فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {7} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {8} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {9} أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {10} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {11}.

وتقول السورة أن الجنة في تلك الفترة، لمن يؤمن ويصلي بخشوع ويعرض عن اللغو (الكلام الفاحش) ويدفع الزكاة (الإنفاق) ويبتعد عن الفواحش بمختلف أنواعها. ويؤدي الأمانة ويحافظ على العهد والوعد.

والملفت هنا هو أن الالتزام بالمواعيد الشخصية والجماعية فرض ديني يدخل الجنة ومخالفته يدخل النار. والمسلمون اليوم أقل شعوب الأرض التزاماً بالمواعيد للأسف، أمماً وجماعة وأفراداً.

(الآيات: 12-14) تتحدث عن خلق الإنسان الأول، وليس تخلق الجنين في الرحم: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {14}.

لكل سلالة من البشر الحاليين أجيال أولى خلقوا في ظروف مناخية وكيميائية معينة. والآيات تتحدث عن تلك الظروف وكيف تكونت تلك الجماعات البشرية. والبدائية هي نقع التراب في الماء لفترة من الزمن حتى أصبح (طين لازب) كما تقول سورة الصافات: إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ {11}، أي تحول الطين إلى صلصال، كما تقول سورة الرحمن: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ {14}. تحت ظروف مناخية وكيميائية معينة، وفي مكان معزول، وبعد فترة طويلة من الزمن سمتها سورة الإنسان حين من الدهر: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا

مَذْكُوراً {1} تحول الصلصال إلى نطفة (قد يكون شكل هلامي)، ذات أمشاج كما أطلقت عليه سورة الإنسان: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ {2}.

و"في قرار مكين" تعني مكان معزول من الأرض قد يكون تجويف تحت السطح.

هذه النطفة تحولت إلى علقة. أي تشكلت بشكل آخر، ثم تشكلت بشكل ثالث "مضغة". ثم قست وتصلبت لتتحول إلى هيكل عظمي بشري.

ثم كسيت باللحم والأعصاب والأوردة... الخ حتى أصبحت على هيئة إنسان كامل. ومن ثم نبت هذا الشكل البشري من التجويف الأرضي الذي تخلق فيها إلى السطح، كما تقول سورة نوح: وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا {17}.

فخلق الإنسان في البداية مر بأطوار مختلفة عبر أزمنة طويلة، كما تقول سورة نوح: وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا {14}.

وهذه الأطوار والمراحل خلط المفسرون بينها وبين خلق الجنين في الرحم وهو مختلف، فما كان من المستشرقين إلا أن اعتبروا هذه الآيات في سورة المؤمنون خطأ علمي في القرآن يتعارض مع تخلق الجنين. وبما أنه ليس لدينا علماء مسلمون يعتمدون القرآن في إطلاق نظريات وحقائق علمية جديدة، فلم يتعرف أحد على ما يقول القرآن هنا صراحة. لأن كل من يقرأ الآيات السابقة يفهمها بما يقول المفسرون وليس بما يقول القرآن.

ونكمل مسيرنا مع سورة المؤمنون

(الآيات: 15-22) دعوة عقلانية للتفكير: ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ {15} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ {16} وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ {17} وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ {18} فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ تَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {19} وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ {20} وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {21} وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ {22}.

الغلاف الجوي للأرض يتكون من سبع طرائق (وأنا أميل إلى أن سبع سموات تعني طبقات الغلاف الجوي للأرض، ولا تعني سبعة أكوام متطابقة فوق بعض).

(الآية: 20) تقول: "وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِيِّينَ". وقد تكون هذه الشجرة كما يقول المفسرون الزيتون. والطور هو الجبل المنتصب، وقد يكون هنا هو جبال السراة المنتصبة كالجدار أمام مكة. والمؤكد أن سيناء ليست سيناء الحالية التي بين بلاد النيل وفلسطين، لأنها بعيدة عن مكة ولا علاقة لقريش بها. والآيات تخاطب قريش وتحديثهم عن شيء في بيئتهم ويعرفونها. فطور سيناء هو جبال الطائف الحالية المطلة على مكة وكأنها جدار عملاق. وسيناء المصرية سماها اليهود في عصور قديمة بهذا الاسم، لتحل محل سيناء الأصلية (جبال الطائف المطلة على مكة). ضمن مسخهم لتاريخهم وتاريخ العالم، والذي سنتعرف على بعض ما قاموا به في سور مختلفة.

(الآيات: 23-44) موجهة لقريش وتحدث عن أمم سابقة تعرفهم قريش أهلوا بكفرهم: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ {23} فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {24} إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ {25} قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ {26} فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ {27} فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {28} وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ {29} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ {30} ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ {31} فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ {32} وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ {33} وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ {34} أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ {35} هِيَ هَاتِ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ {36} إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ {37} إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ {38} قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ {39} قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ {40} فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {41} ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ {42} مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ {43} ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ {44}.

ويمكن ملاحظة أن منطق تلك الأمم متفق مع منطق قريش، ومن ذلك: طلب قوم نوح أن يروا الملائكة كدليل لصدق دعوة نوح (24). وقالوا عن نوح هو مجنون (25).

وأمم أخرى بعد ذلك، قالوا ما قالت قريش عن محمد: إنه إلا بشر مثلنا (33) وأنه لا بعث بعد الموت (35) والرسول كاذب (38).

وكل الأمم سارت على سنة واحدة (44).

(الآيات: 45-53) الخطاب موجه لبني إسرائيل وتحدث عن موسى وعيسى: ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {45} إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ {46} فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ {47} فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ {48} وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ {49} وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ {50} يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {51} وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ {52} فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ {53}.

وتقول: أن الدين واحد (52)، وأن الناس يختلفون في الدين ويتعدون عنه بعد الرسول (53).

(الآيات: 54-56) عود للحديث عن قريش: فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ {54} أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ {55} نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ {56}.

وتقول أن ما يتمتعون به من مال وبنين لن يدوم وسرعان ما يواجهون مصيرهم.

(الآيات: 57-61) عود للحديث عن المؤمنين الذي بدأت به السورة: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ {57} وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ {58} وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ {59} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ {60} أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ {61}.

وتقول الآيات أن الجنة لمن يشفق من خشية الله، ويؤمنون بآيات الله (القرآن) ولا يشركون بالله، وينفقون لوجه الله.

الآية: 62 تقول أن الله لا يكلف نفس إلا بما تستطيع وستسجل الأعمال بدقة: وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {62}.

وبقية السورة ترد على جدال قريش لمحمد: بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ {63} حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ {64} لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُنَّا لَا تَنْصِرُونَ {65} قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ {66} مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ {67} أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ {68} أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ {69} أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ {70} وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ {71} أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَقَرَأْ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {72} وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {73} وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ {74} وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {75} وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ {76} حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ {77} وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ {78} وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {79} وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {80} بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ {81} قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ {82} لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {83} قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {85} قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {87} قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {89} بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {90} مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ {91} عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ {92} قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرْيِي مَا يُوعَدُونَ {93} رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {94} وَإِنَّا عَلَىٰ أَن تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ {95} ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ {96} وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ {97} وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ {98} حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ {99} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ {100} فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ {101} فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {102} وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ {103} تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ {104} أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ {105} قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِفُونُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ {106} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِندَهَا ظَالِمُونَ {107} قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ {108} إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ

رَبَّنَا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ {109} فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ {110} إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ {111} قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ {112} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِيْنَ {113} قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {114} أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ {115} فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ {116} وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {117} وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ {118}.

قريش لاهية عن الآخرة (63).

(الآيات: 64-70) تصوير لما سيكون عليه كفار قريش يوم القيامة، وكيف سيندمون، على إنكار الدعوة. وكان الحري بهم تدبر ما يتلى عليهم من رسول يعرفونه تمام المعرفة، بدل اتهامه بالجنون وهم يعلمون قبل غيرهم أنه ليس كذلك وأنه جاءهم بالحق الذي أنكروه.

وتقول الآيات التالية أن شروط وطلبات قريش ليست منطقية، ولو تمت تلبيةها لفسد الكون لأنها لن تتوقف (71).

ومحمد لا يسأل أجراً مقابل دعوته التي تدعوهم للطريق القويم، لكن قريش تصر على تجاهل الحق. وحتى لو كشف عنهم عذاب الآخرة لعادوا لكفرهم.

ولو أرادوا الهداية لكفاهم ما يرون من عظمة الخلق حولهم. لكنهم برروا كفرهم تبريرات واهية بقولهم أنه من المستحيل أن يحيا الميت بعد أن يتحلل جسده.

وتنفي الآيات أن تكون الملائكة بنات الله كما تزعم قريش (91) ونفس الآية تقول لو كان هناك إله مع الله فلا بد أن يختلفا.

(الآيتان: 99-100) التوبة لا تقبل عند الموت أو العجز، وهو ما ينفي قول رجال الدين أن التوبة مفتوحة حتى الغرغرة.

(الآية: 101) البعث سيكون بعد أن ينشأ صور (كون) القيامة، وليس في هذا الكون الذي سينتهي.

(الآيتان: 102-103) الحساب سيكون بناءً على صحيفة الأعمال وليس هناك حساب بالعواطف.

ثم تقدم الآيات صور حسية تصور حال الكفار (الحديث موجه لقريش) يوم القيامة. وتظهر بعض ما تقوم به قريش ضد المسلمين مثل السخرية.

(الآيات: 112-114) سيشعر الكافر يوم القيامة أن بقاءه في الدنيا لم يزد عن يوم أو بعض يوم. إشارة إلى أن أيام الدنيا مهما طالّت تمر بسرعة، وها نحن نشعر أن كل السنوات الماضية لم يكن لها وجود.

سورة المعارج

تبدأ السورة بتأكيد أن العذاب سيقع بالكافرين (من قريش) لا محالة يوم القيامة الطويل بمقاييسنا: سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {1} لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ {2} مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ {3} تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ {4}.

وليس بالضرورة أن يكون طول يوم الحساب خمسين ألف سنة، ولكنه تصوير للتقريب في الذهن.

(الآيات: 5-7) تخاطب محمد وتطلب منه الصبر فموعدهم قريب، لأن الأيام ستتم سريعاً وسيموت المكذبون (من قريش) ليوافقوا جهنم: فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا {5} إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا {6} وَنَرَاهُ قَرِيبًا {7}.

(الآيات: 8-18) تصوير حسي لنهاية الكون ولما سيكون عليه حال الكافر يوم القيامة: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ {8} وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ {9} وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا {10} يُبْصَرُونَ يَوْمَ ذَلِكَ الْمُجْرِمَ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِنِذٍ بِبَنِيهِ {11} وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ {12} وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ {13} وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ {14} كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْى {15} نَزَّاعَةً لِّلشَّوْى {16} تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى {17} وَجَمَعَ فَأَوْعَى {18}.

(الآيات: 19-21) تقرر حقيقة أن الإنسان لا يصبر على الفقر، لكنه لا ينفق إذا ملك المال: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {21}.

(الآيات: 22-35) تكرر ما ورد في سورة المؤمنون من تشريعات: إِلَّا الْمُصَلِّينَ {22} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {23} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {24} لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {25} وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ {26} وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ {27} إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ {28} وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {29} إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

مُؤْمِنِينَ {30} فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {31} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {32} وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ {33} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {34} أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ {35}. الحديث عن المطلوب لدخول الجنة في تلك الفترة، والمتمثل بما يلي: الصلاة، الإنفاق، الإيمان بالله والبعث، البعد عن الفواحش بكل أنواعها، المحافظة والحرص على الوعود والمواعيد، وقول الحقيقة وإقامة الشهادة.

(الآيات: 36-39) تساؤل للقول أن قريش لن يدخلوا الجنة لأن من عدل الله المطلق هو ألا يغفر للكافر ولا يعذب مستحق الجنة: فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُ مْهُطِعِينَ {36} عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ {37} أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ {38} كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ {39}.

"أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم؟ الجواب جاء في أول الآية 39: كلا!

وبقية الآيات تقول أن الله قادر على أن يستبدلهم بقوم غيرهم لكنه لن يفعل لأن ما يجري على الأرض وكل الكون قائم حسب قوانين ثابتة لن تتغير. وتطلب الآيات من محمد أن يصبر فيوم القيامة قريب جداً. لا عذاب في الدنيا.

سورة الفرقان

تبدأ السورة بالتأكيد لقريش أن الله هو من أنزل الوحي الذي يسمعون من محمد، وهو سبحانه من خلق الكون، وهو الذي ليس له ولد (بنات) وخلق كل شيء بقدر (بقوانين ثابتة): تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا {1} الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا {2}.

ثم تتحدث السورة عن مواقف قريش: وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يُخْلِفُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِفُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا {3} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا إِفْكُ افْتِرَاءِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا {4} وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {5} قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا {6} وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا {7} أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا {8} انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا {9} تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا {10}.

وتقول الآيات عن قريش أنهم اتخذوا عبادة الأوثان الجماد، بينما يتهمون محمداً بأنه يقول كلاماً ينسبه لله وهو كاذب. وما هو إلا كلام من عند محمد ومن أناس آخرين أعانوا محمداً عليه (4) .

ولو رجعنا لبداية الدعوة والمرحلة الرابعة وأول سور هذه المرحلة (الخامسة) لوجدنا قريش تتهم محمد بالكذب على الله، أو أن كلامه شعر، أو تمتمة كاهن... الخ. لكنها لا تتهمه بأنه يتعلم القرآن من أشخاص آخرين. لأن دعوة محمد كانت موجهة لقريش فقط، ولم يكن يستمع له سوى قريش، التي تعرف محمد ويعرفها محمد. ولا مجال لأن يقولوا له أن هناك من يعلمك من تقول وهم يعلمون أنه لا يوجد احد يعلمه. أما الآن (وفي هذه المرحلة) فقد أصبح من المعتاد أن يحضر أناس من خارج مكة، خاصة من يثرب، للاستماع للرسول. وهؤلاء لا يعرفون محمد ولا يعرفون مكة. لذا كانت قريش – في سعيها للصد عن الإسلام – تروج بين هؤلاء أن محمد كاذب وان ما يتلوا كلام علمه إياه آخرون. وأحياناً يقولون أن كلام محمد أساطير (قصص) قديمة أعاد محمد صياغتها(5).

ومما تجادل به قريش هو طلب نزول ملائكة (7) أو يلقي إليه كنز (8)

والخلاصة أن قريش لن تؤمن وتستمر بالبحث عن تبريرات: بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا {11}.

وتتوعدهم الآيات بمصيرهم يوم القيامة وتصوير ما ينتظرهم في النار تصويراً حسياً: بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا {11} إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا {12} وَإِذَا أُلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا {13} لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا {14}.

كما تصور نعيم الجنة للمؤمنين: قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا {15} لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا {16}.

(الآيتان: 17-19) مشهد تصويري من يوم القيامة يظهر لقاء بين الأصنام وبين من يعبدها من قريش، حيث تسأل الأصنام إن كانت عملت على إضلال قريش: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ {17} قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا {18} فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نُدْفَعُهُ عَذَابًا كَبِيرًا {19}.

والمشهد تخيلي ولن يحدث، ولكنه صور بتصوير حسي لزيادة التأثير في نفس المخاطب.

(الآيات: 20-22) عود للحديث عن طلب قريش نزول الملائكة في الآية (8)، وتقول الآيات أن الملائكة لن تنزل كدليل على رسالة محمد، ولو نزلت ورأتها قريش فهذا يعني أن العذاب سيحل بهم: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا {20} وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا {21} يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ جِئُوا بِمُحْجُورٍ {22}.

وتقول الآيات أن عمل الكفار سيكون هباء منثوراً بينما سيجزي الله المؤمن بالجنة: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا {23} أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا {24}. والآيات دليل على أن أعمال المشركين لن تقبل، وأن قريش كانت تقوم بأعمال مهيبة فاضلة، لكن الجنة تحتاج لإيما + عمل صالح معاً.

ثم تقول السورة: وَيَوْمَ تَشَاقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا {25} الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا {26} وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا {27} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا {28} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا {29} وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا {30}.

فهي تقدم صوراً حسية ليوم القيامة ، ثم تخاطب المستضعفين في مكة الذين سيندمون لأنهم تبعوا ساداتهم من قريش في الكفر. (27-29).

(الآية: 30) مشهد تصوري لمحمد وكأنه يشتكي لله إعراض قريش عن سماع القرآن، كناية عن كفر قريش وعدم إصغائهم. وهي دليل على أن الرسول كان يدعوا بالقرآن فقط.

(الآيات: 31-34) تقول أن كل رسول قوبل بالكفر وليس أنت فقط يا محمد: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا {31} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا {32} وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا {33} الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا {34}.

ومن جدال قريش أنها تقول للرسول لماذا ينزل عليه القرآن مجزأ (سورة سورة) ولا ينزل مرة واحدة، فيأتي الرد ليتم نسخه في فؤادك. وما لا تعرفه قريش هو أن القرآن ينزل ليعالج ويتفاعل مع الأحداث وليس كتاباً تشريعياً فقط. لذا سيستمر بالنزول ما دام محمد حياً، ولو طال عمر محمد عما كان لنزلت سور إضافية، لانه ستقع أحداث.

(الآية:34) تصور كفار قريش على أنهم سيحشرون على وجوههم زيادة في الإذلال، لأن الوجه يمثل عزة وكرامة المرء. وهو كناية فقط ولن يحشروا على وجوههم.

(الآيات:35-40) تخاطب قريش وتذكرهم ببعض من أهلك من الأمم السابقين: فرعون، قوم نوح، عاد، ثمود، أصحاب الرس، وغيرهم كثير. إضافة لقوم لوط، الذين نعتهم الآية 40 بالقرية التي أمطرت مطر السوء. والدليل على أنهم هم المعنيون جاء في الشعراء: 173، والنمل: 58. ومطر السوء يعني البركان: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا {35} فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا {36} وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا {37} وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا {38} وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأُمْتَالَ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَتَّبِعِرًا {39} وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا {40}.

والآيات التي تتحدث عن هلاك فرعون فقط تكون عادة موجهة لقريش، أما التي تتحدث عن تاريخ فرعون وموسى وبني إسرائيل فهي موجهة لبني إسرائيل. والآيات هنا تخص قريش لأنها تتحدث عن هلاك فرعون ولو لم يذكر بالاسم.

(الآيات:41-44) تقص بعض سلوك قريش ضد محمد: وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا {41} إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنِ الْهَيْتَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا {42} أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا {43} أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا {44}.

قريش تسخر منه كلما مر بهم. وتقول الآية 43 لمحمد أن كفار قريش اتخذوا هواهم وظنونهم آلهة، ولست مسئولاً عن هدايتهم.

(الآية: 44) دليل على أن التمسك بالعقائد الموروثة لا شأن له بحكمة المرء ورجاحة عقله. وعلى محمد ألا يستعرب أن رجال قريش الذين يراهم عقلاء لا يستطيعون تبين الحق وإتباعه. ولهذا يتمسك المسيحي بعقيدته التي تنافي العقل، وكذلك الهندوسي، ومثلهم أتباع المذاهب.

(الآيات: 45-62) دعوة عقلانية ورد على جدال قريش: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا {45} ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا {46} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا {47} وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا {48} لِنُخْطِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا {49} وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا {50} وَلَوْ شِئْنَا لَئَعَنْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا {51} فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا {52} وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا {53} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا {54} وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا {55} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {56} قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا {57} وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا {58} الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا {59} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا {60} تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا {61} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا {62}.

(الآيتان: 45-46) تقول: " أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا". وقد أثار بعض الناس حولها معضلة تأويل لمعناها وكأنها تتحدث عن إعجاز علمي أو غموض لغوي لم يفكه غيرهم. وإلا فالآية تخاطب قريش على قدر مداركهم ولن تحدثهم عن شيء لا يفهمونه. وفهم الإنسان الذي بمستوى معارف قريش يعلم أن الآية تتحدث عن وجود ظل للأشياء، وأن الله قادر على أن يلغيه.

ثم تذكر الآيات ببعض نعم الله على الناس.

وتقول الآية: 49 أن القرآن نزل بين قريش ليتذكروا لكنهم كفروا وأصروا على الكفر. ولم يؤمن من مكة إلا قليل.

(الآية: 51) ترد على تساؤل لابد أن قريش طرحته. ويتمثل بسؤال الرسول لماذا يرسل لهم ولغيرهم مثل بني إسرائيل يثرب. (أي لماذا لم يرسل الله لبني إسرائيل رسول وللطائف رسول ولهم رسول ... الخ، عوضاً عن إرسالك يا محمد لكل الناس؟ والآية تقول أن الله لو شاء لأرسل

لقريّة مكة رسول ولقريّة يثرب رسول ولكل قريّة رسول. ولم يخبرهم القرآن من حكمة إرسال محمد وأنه سيكون لكل أناس في كل العصور لأنه ليس مقام الحديث عنه ولأن قريش في تلك اللحظة لن تصدق أن الإسلام سيخرج عن سيطرتها.

وتطلب الآية 52 من الرسول ألا يستمع لجدالهم العقيم هذا وليجاهدهم بالقرآن (أي بتلاوته عليهم).

والآيات التالية تقول: لو أرادت قريش أن تؤمن لكفاها التفكير بما حولها.

(الآية: 56) محمد مجرد مبشر ومنذر فقط.

ولا يتقاضى أجر على الدعوة 57.

الآية 58 تطلب من الرسول الاستمرار بالتسبيح والاستعانة بالله.

(الآية: 60) تقول: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا". والآية أولها المستشرقون على أنها تعني أن قريش لا تعرف لفظ "الرحمن" الذي استعاره محمد من أدياء نبوة قبله مثل مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة وغيره. وقالوا هو لفظ غير عربي.. وغير ذلك.

وقريش لو لم تعرف الرحمن لاحتجت منذ أن سمعت اللفظ في بداية الوحي، بل ولم تسم باسم عبد الرحمن، مثل عبد الرحمن ابن عوف. والرحمن صفة عربية متميزة، تعني مصدر الرحمة. وليس هناك غير الله من يمكنه أن يتصف بهذه الصفة، فهو وحده سبحانه الرحمن، وهو الرحيم لغيره. وكل صفات الله يمكن أن يتصف بها البشر تجاوزاً وليس بالتماثل. فيمكن أن نطلق على إنسان أنه رحيم أو كريم أو قادر أو قاهر أو عزيز، لكن لا يمكن أن نطلق عليه رحمن.

وتساؤل قريش الوارد في الآية "قالوا وما الرحمن" يعني هنا إنكارهم أن يعبد الرحمن وحده: قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا". ويؤيد ذلك: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} {70} الأعراف. ومثله: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} {45} الزمر. فاستنكارهم ليس لعدم معرفة الرحمن ولكن إنكارهم لعبادة الرحمن وحده.

(الآيات: 63-76) تؤكد ما ذكرته أول سورة المؤمنون والآيات 22-35 من سورة المعارج السابقتين عن الأعمال المطلوبة لدخول الجنة في تلك الفترة: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا {63} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا {64} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا {65} إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {66} وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا {67} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا {69} إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {70} وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا {71} وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا {72} وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا {73} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا {74} أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا {75} خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {76}.

وهذه الأعمال، كما يلي:

البعد عن الخيلاء "يمشون على الأرض هونا". البعد عن الكلام الفاحش وتبادلته مع الغير "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً".

الصلاة، والتي عبر عنها هنا بـ: "الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً" مع أنه ليس مطلوباً أن يصلي المسلم في ذلك الوقت طوال الليل، بل المطلوب كان الصلاة دون تحديد أوقات لتأديتها.

الخوف من عذاب الآخرة.

الإنفاق والبعد عن التبذير.

البعد عن الشرك.

عدم قتل النفس (وهذا تشريع جديد).

لا يزنون (هنا تحريم للزنا تحديداً) وكانت سورتي المؤمنون والمعارج قد حرمتا كل أنواع الفواحش ومنها الزنا.

ثم تقول الآيات: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا {69}. وهذا تأكيد على أن من يقترب هذه الكبائر فسيدخل النار (يعني إذا أصر عليها). لكن لو تاب مباشرة فسيغفر الله له كما تقول الآية التالية: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {70} وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا {71}.

وهنا واضح أن التوبة لمن يتوب مباشرة بعد الكبيرة ولا يعود وسنجد ضوابط أخرى للتوبة في سور قادمة. فالتوبة مطلوبة ومعها المداومة على العمل الصالح.

وتستمر الآيات بسرد التشريعات اللازمة لدخول الجنة في تلك الفترة:

لا يشهدون الزور، ومثله الكذب. ولا يقربون الفحش من القول (وإذا مروا باللغو مروا كراما). والذين يتفكرون ويتدبرون كلام الله.

والذين يسعون للأعمال الصالحة ليكونوا قدوة لغيرهم ويربون أبناءهم عليها.

(الآية: 75) الغرفة هنا = الجنة. السياق يعرفنا بالمعنى.

وتختتم السورة بقوله: قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا {77}.

الدعاء هنا التوبة وليس طلبات الدنيا لأن عكسه التكذيب.

سورة الزمر

((السورة تكثر فيها الدعوات العقلانية للتفكير موجهة لقريش اللا مبالية))

وتعود السورة لبداية مماثل لسور سبقت مثل السجدة، الحجر، النمل، لقمان، غافر، الزخرف، حيث تذكر أن القرآن (الكتاب) منزل من الله. والقرآن سمي بالكتاب مع أنه في هذه الفترة لم يكتب: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {1} إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ {2}.

ثم تخاطب (الآيات: 3-9) قريش: أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ {3} لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {4}

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ {5} خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَتَى تُصْرُفُونَ {6} إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {7} وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ {8} أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ {9}.

والبداية مع إنكار عبادة الأوثان التي يظنون أن عبادتها كوسيط بينهم وبين الله. كما تتكرر عليهم القول بأن الملائكة بنات الله: "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ". والآية تقول أن موالاة شيء أو خلق عبادة له. وبالتالي فمن وإلى الكفار فهو يعبدهم من دون الله. وهذا يعني أن موالاة الكفر كفر وخروج عن الملة.

ثم نتحدث الآيات عن خلق الله الذي يدل على قدرته على البعث الذي تتكرر قریش.

الآية: 5 تقول: " وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ". والمعنى هنا أنها ستجري حتى يأتي اليوم الذي سينهار فيه الكون الذي نهايته معروفة عند الله وفي وقت محدد "أجل مسمى".

(الآية: 6) تقول: "خلقكم من نفس واحدة" أي من نفس المواصفات للرجل والمرأة وليس من شخص واحد. لأنه سبق ومر بنا في الآيات: 12-14 من سورة المؤمنون كيف أن خلق الإنسان الأول لم يكن من رجل واحد.

وتقول نفس الآية: " وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ". فقد يكون هذا يعني أن الأنعام (الحيوانات الأليفة) التي تعرفها قریش هي ثمانية: البقر، الضأن، الماعز، الجمال، الخيل، الحمير، البغال، ونوع آخر.

(الآية: 7) تقول لقریش أن الله لا يرضى لكم الكفر، مما يعني ويؤكد أن كفرهم اختاروه لأنفسهم. والآية دليل على أن كل امرئ بما كسب رهين. وسجله يظهر أعماله.

الآيتان: 8-9 دليل على أنه لا يمكن أن يتعامل مع الكافر بمثل المؤمن، ولن يغفر لمن يستحق النار كما أنه لن يدخل النار من آمن وعمل صالحاً (من الإيمان حالياً الإيمان برسول الله محمد وبالإسلام فقط).

(الآية: 10) تعطي الضوء الأخضر للمضطهدين من المسلمين في مكة في تلك الفترة، لكي يهاجروا: قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ {10}.

وهو ما يعني دخول أعداد من مستضعفي مكة للإسلام، مما ترتب عليه تصاعد الأذى من قريش. وكان الآية تشير لما عرف بالتاريخ بهجرة الحبشة التي هاجر لها المستضعفون، وقد يكونوا الجدد منهم تحديداً. ولم يهاجر أي قرشي مسلم، لأنهم لم يتعرضوا لأذى يجبرهم على ترك مكة، وإن تعرضوا للسخرية.

والهجرة كانت للحبشة، لكن المؤرخين والمفسرين قالوا أن الحبشة هي إثيوبيا الحالية، أو مملكة أكسوم القديمة. وكتب التاريخ التي نستقي منها المعلومات عن هذه الهجرة، تستند في مصادرها على أشخاص جلهم من اليمن. مثل عبيد ابن شرية الجرهمي الذي أوكل إليه معاوية كتابة أول كتاب تاريخي في الإسلام. ومثل مجموعة من يهود اليمن الذين أصبحوا مصادر لأهم أحداث التاريخ الإسلامي، وعلى رأسهم كعب الأحبار، عبد الله ابن سلام، ابن بنيامين، وغيرهم ممن أخذ عنهم ابن إسحاق وغيره. وهؤلاء اليمنيون يعرفون مملكة أكسوم جيداً، وغلب على ظنهم أن عرب مكة وما حولها لهم علاقة بتلك المملكة كما لليمنيين.

واليمن كانت على علاقة بأثيوبيا الحالية التي كانت تسمى مملكة أكسوم، والتي سيطرت على قطاعات واسعة من اليمن وعلى حضرموت وسبأ والمهرة في فترات تاريخية مختلفة، وكانت تدين بالمسيحية البولسية (المسحية الحالية) التي نقلتها وفرضتها على اليمن. بينما لم يكن هناك أي علاقات تجارية أو سياسية بين أثيوبيا المسيحية التي لا تتحدث العربية ولا تمت بصلة للعرب، وبين مكة. ولم يكن هناك بينهما إلا عدااء قديم سببه غزوة أبرهة الأكسومي – حاكم اليمن – لمكة في محاولة لهدم الكعبة. لذا فمن المستبعد تماماً أن يكون مستضعفو المسلمين قد هاجروا لأثيوبيا. والراجح أنهم هاجروا إلى مناطق شرق ما يسمى اليوم بدولة السودان، والمحاذية لسواحل البحر الأحمر، قبالة جدة. وهي مناطق كانت مأهولة بالعرب زمن رسول الله، من الذين نزحوا إليها في فترات تاريخية سابقة من البر الشرقي للبحر الأحمر.

وكان من الطبيعي أن تبقى الصلات بين العرب على جانبي شواطئ البحر الأحمر، سواءً العائلية أو التجارية منها. وبما أن أهل مكة يملكون المال، فقد كان من الطبيعي أيضاً أن يكون هناك تواصل تجاري مع البر السوداني، خاصة أن المسافة بين جدة القريبة من مكة، وبين البر السوداني المقابل، لا تزيد عن 190 كيلومتر بخط مستقيم، فيما تبتعد مصوع – أقرب الموانئ الأثيوبية – عن جدة بحوالي 650 كيلو متر بخط مستقيم، وتبتعد الموانئ الجنوبية لأثيوبيا عن جدة بأكثر من 1000 كيلو بخط مستقيم. وفي نفس الوقت لا يبتعد ميناء المخا اليمنية عن عصب الأثيوبية أكثر من 60 كيلو متر فقط، والحديدة اليمنية عن مصوع الأثيوبية 380 كيلومتر، لذا من المستحيل التصديق أن ضعفاء المسلمين قد فضلوا ركوب البحر في رحلة بعيدة صعبة مجهولة لأثيوبيا واللجوء لقوم هم أقرب للأعداء – بحكم التاريخ – لهم من الأصدقاء. ولا تربطهم بهم أي علاقة ولا يعرفون لغتهم، بينما كان بإمكانهم السفر برحلة قصيرة لعرب مثلهم يتحدثون لغتهم، ولديه نفس العادات، والتي من بينها حماية المستجير، التي لا يعرفها الأثيوبيون.

أما كيف حدث الخلط بين السودان الحالي وإكسوم القديمة، فيعود إلى أن الحبشي يطلقه العرب على أي شخص لونه أسود وشعره أجعد – أي من الجنس الزنجي. فكل أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بالنسبة للعرب أحباش، وفي زمن متأخر (العصر العباسي) أطلق العرب على دولة أثيوبيا الحبشة، فظن القصاص وناقلو الأحاديث أن الحبشة (أثيوبيا) هي الحبشة (السودان) التي هاجر لها المستضعفين من المسلمين، لأن الأذى الجسدي طال مستضعفي قريش من عبيد وموالي، دون بقية المسلمين الذين ينتمون لقريش بالنسب. (منقول بتصريف من أحسن القصص)

(الآيات: 11-26) ترد على لسان محمد، جدال قريش: قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ {11} وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ {12} قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {13} قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي {14} فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ {15} لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ {16} وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ {17} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولَئِكَ {18} أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ {19} لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ {20} أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِّأُولِي

الْأَلْبَابِ {21} أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْفَاسِقِينَ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {22} اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {23} أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ {24} كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ {25} فَاذْذُقْهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {26}.

وتقدم صوراً حسية للعذاب، وتعد المؤمنين، وتدعوا للتفكير. وتقول أنه لا يستوي المؤمن والكافر. والقرآن كاف للهداية. وقريش مثلها مثل أم كذبت قبلها.

ثم تقول السورة: وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {27} فَرَأَانَا عَرِيبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {28}.

القرآن الواضح العبارات والذي يحتوي على كل ما يحتاج المرء ليؤمن، كاف لقريش لو رغبت الإيمان.

(الآية: 29) تعيد التأكيد على أنه لا يمكن أن يستوي المؤمن والكافر عند الله: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {29}.

(الآيات: 30-36) تخاطب محمد وتقول له أنك وهم ستموتون ثم تبعثون وهناك سيتحدد المصير: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ {30} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ {31} فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ {32} وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُنْفِقُونَ {33} لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ {34} لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ {35} أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ {36}.

(الآيتان: 35-36) تشير إلى أن قريش بدأ تهدد وتتوعد محمد بشكل علني بعد أن كانت تتربص به خفية كما ورد في طه: 135، والطور: 30-31. وتقول الآية 36 أن الله الإيمان بالله كاف عبده محمد، لنلا يقلق من تهديدات من هم دون الله (قريش).

(الآية: 37) تقول: " وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ".

الهداية من الله من باب الفضل وليس أن الله قد اختار من خلقه بعض للجنة وبعض للنار. فالهداية خيار شخصي، والدليل قائلته هذه السورة في آية قادمة: {إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} {41}.

(الآيات: 38-40) دعوة عقلانية: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ {38} قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {39} مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثِيمٌ {40}.

(الآية: 42) تعطي قريش مثالا حيا على ماهية الموت والبعث، فهو كالنوم ثم الاستيقاظ: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {42}.

(الآيات: 53-61) دعوة مفتوحة لكل الناس أن يدخلوا في دين الله وسيغفر الله لهم ذنوبهم السابقة مهما عظمت، قبل أن يموتوا وهم كفار ويندمون: أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ {43} قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {44} وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ {45} قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {46} وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ {47} وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {48} فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهِ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {49} قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {50} فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ {51} أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {52} قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {53} وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ {54} وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثْنَا وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ {55} أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ {56} أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {57} أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ {58} بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ

وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ {59} وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ {60} وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {61} اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ {62} لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {63} قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تُأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ {64}.

(الآيتان: 65-66) تخاطب محمد، وتؤكد له أنه وكل الرسل سيحاسيون كغيرهم من البشر، ولو كفر أحد منهم فسيعذب: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {65} بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ {66}.

(الآية: 67) تخاطب قريش وتقول لهم أن إنكارهم للبعث عدم تقدير قدرة الله، الذي سيني هذا الكون (تقدم الآية هنا صورة حسية تخيلية لنهاية الكون، وكأن الأرض والسموات بيده سبحانه: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {67}).

ثم تقدم الآية التالية (68) كيف ينشأ كون (صور) جديد للقيامة بعد أن طوى الله هذا الكون (أنهائه): وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي قِيَامٍ يَنْظُرُونَ {68}.

طوى السماء وكون الأرض في قبضة الله لا تعني أن الله يد أو أيدي. ولكنها صور حسية مماثلة للصور الحسية الكثيرة التي وردت في السور تصور انهيار الكون وذلك لتقريبها من ذهن المخاطب (قريش). وإلا فانه ليس له يد لأن أي شيء لنا أو نستطيع تخيله فليس لله منه شيء: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ وَيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {11} الشورى}.

وتستمر الآيات بتقديم صور حسية لما سيكون يوم القيامة والحساب ودخول الكفار النار والمؤمنين الجنة، وكأنهم سيساقون كقطيع عبيد مسلوبي الإرادة، والذي تعرفه قريش جيداً، وكذلك تصوير الملائكة وكأنهم خدم حول كرسي سلطان بشري: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {69} وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ {70} وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {71} قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ {72} وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {73} وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {74} وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {75}.

وبهذا نصل لنهاية سور المجموعة الأولى لهذا اليوم. ويمكن أن يتوقف من يرغب هنا اليوم ويكمل بقية السور غداً.